قَدَاسَةُ البَابَا فرنسيس

المُقَابَلَةُ العَامَّةُ

يَوْمَ الأَرْبِعَاءِ المُوَافِقَ ١٧ ديسمبر / كانون أول ٢٠١٤

بساحة القديس بطرس

الأخوات والإخوة الأحباء، صباح الخير!

لقد شَكَّلَ سينودسُ الأساقفةِ حولَ العائلةِ المرحلةَ الأولى من مسيرةٍ ستُختتمُ في أكتوبر (تشرينَ الأولِ) المقبلِ بانعقادِ جمعيّةٍ أُخرى حولَ موضوع "دعوةُ العائلةِ ورسالتُها في الكنيسةِ والعالمِ"، وبالتالي ينبغي على التأمُّلِ والصلاةِ أنْ يرافقا هذه المسيرةِ ويشملا شعبَ اللهِ بأسرِهِ. أرغبُ أيضًا بأنْ تدخلَ تعاليمُ مقابلاتِ الأربعاءِ في هذهِ المسيرةِ المشتركةِ. لذلكَ قررتُ أنْ أتأمَّلَ معكُم خلالَ هذا العامِ حولَ العائلةِ، هذه العطيةُ الكبيرةُ التي أعطاها الربُّ منذُ البدءِ للعالمِ، مُذْ أَوْكَلَ لآدمَ وحوّاءَ مهمةَ أنْ يكثرا ويملآ الأرضَ (را. تك ١، ٢٨). هذه العطيةُ التي ثبّتَها يسوعُ وختمَها في إنجيلِهِ.

إنَّ اقترابَ عيدِ الميلادِ يُسَلِّطُ الضوءَ بقوّةٍ على هذا السرّ. وتجسّدُ الإبنِ يفتتحُ بدايةً جديدةً في تاريخ الرجلِ والمرأةِ الكونيّ. وهذهِ البدايةُ الجديدةُ تحدثُ في وسْطِ عائلةٍ في الناصرةِ. فيسوعُ قد وُلِدَ في عائلةٍ... لقد كانَ باستطاعتِهِ أنْ يأتي كشعاع أو كإنعكاسٍ، كمُحاربٍ أو كإمبراطورٍ... ولكنّهُ يأتي كابنٍ في عائلةٍ. وهذا أمرٌ بالغُ الأهميّةِ.

لقدِ اختارَ اللهُ أنْ يُولَدَ في عائلةٍ بشريّةٍ أسّسَها بنفسهِ، في قريةٍ نائيةٍ في ضواحي الإمبراطوريّةِ الرومانيّةِ. لا في روما التي كانتْ عاصمةُ الإمبراطوريّةِ، ولا في مدينةٍ كبيرةٍ، وإنّما في ضاحيةٍ مخفيَّةٍ نوعاً ما لا بل سيّئةِ السُمعةِ. وهذا الأمرُ تذكرُهُ الأناجيلُ أيضًا كمقولةِ: "أَمِنَ النَّاصِرَةِ يُمكِنُ أَن يَخرُجَ شَيٌ صالِحٌ؟" (يو ١، ٤٦). ربَّما، في أنحاءٍ كثيرةٍ منَ العالمِ، لا نزالُ نحنُ أيضًا نتكلّمُ على هذا النحوِ عندما نسمعُ باسمِ مكانٍ في ضواحي مدينةٍ كبيرةٍ. من هناكَ إذًا، من هذه الضاحيةِ في الإمبراطوريَّةِ الكبيرةِ بدأتِ القصّةُ الأكثرُ قداسةً وصلاحًا، قصةُ يسوعَ بينَ البشرِ! وهناكَ وُجِدَتْ هذه العائلةُ.

لقد أقامَ يسوعُ في تلكَ الضاحيةِ لمدةِ ثلاثينَ عامًا. ويُلخّصُ لوقا الإنجيليُّ هذهِ المرحلةِ على الشّكلِ التالي: كانَ يسوعُ "طائِعاً لَهُما [أي مريم ويوسف] – قد يقولُ لي أحدُكُم: "ولكنّ هذا الإلهَ الآتيَ ليُخلّصَنا قد أمضى ثلاثينَ عامًا في تلكَ الضّاحيةِ السيّئةِ السُمعةِ؟" نعم، لقد أمضى ثلاثين عامًا! هذا ما أرادَهُ، لأنَّ مسيرةَ يسوعَ كانتْ في تلكَ العائلةِ – وكانَتْ أُمُّهُ تَحفظُ تِلكَ الأُمورَ كُلَّها في قَلبِها. وكانَ يسوعُ يَتسامى في الحِكمَةِ والقامَةِ والحُظْوَةِ عِندَ اللهِ والنَّاس" (لو ٢، ٥١- ٥٢). فما من ذكرٍ لعجائبَ أو شفاءاتٍ، أو بشارةٍ، فهوَ لم يبشّرْ أبدًا في ذلكَ الوقتِ؛ ولا يوجدُ أيُّ ذكرٍ لبشارةٍ أو لجموع تجدُّ وتسرعُ؛ لقد كانَ كلُّ شيءٍ في الناصرةِ يبدو "طبيعيًّا"، بحسبِ عاداتِ أيّ عائلةٍ يهوديّةٍ عاملةٍ وتقيّةٍ. الجميعُ كانَ يعملُ: الأمُّ تطبخُ وتهتَّمُ بأمورِ البيتِ... وتقومُ بكُلِّ ما تقومُ بهِ الأمّهاتِ. الأبُ نجارٌ يعملُ ويعلِّمُ ابنَهُ المهنةَ لمدّةِ ثلاثينَ عامًا. قد يقولُ لي أحدُكُم: "ولكنّ يا أبتِ، إنَّها إضاعةٌ للوقتِ!" لا! ولنْ نتمكَّنَ من معرفةِ ذلكَ أبدًا لأنَّ دروبَ الربِّ سريّةٌ. والأهمُّ في هذا كلِّه كانتْ العائلةُ! وهي ليستْ مضيعَةٌ للوقتِ، فيوسفُ ومريمُ هما قدّيسَينِ عظيمَينِ: مريمُ المرأةُ الكليَّةُ القداسةِ البريئةُ من الدّنسِ، ويوسفُ الرجلُ البارُّ...

قد نتأثّرُ بالتأكيدِ بروايةِ يسوعَ المراهقِ في تعايشِهِ مع مواعيدِ الجماعةِ الدينيّةِ وواجباتِ الحياةِ الاجتماعيّةِ؛ وبمعرفةِ كيفَ كانَ يعملُ كشابٍ معَ يوسفَ، وبطريقةِ مشاركتِهِ في الإصغاءِ للكتبِ وصلاةِ المزاميرِ كما في عاداتٍ أخرى من الحياةِ اليوميّةِ. إنَّ الأناجيلَ بدقَّتِها لا تخبرُنا شيئًا عن مراهقةِ يسوعَ وتتركُ هذه المهمةَ لتأمّلِنا، وقد اجتازَ الفنُّ والأدبُ والموسيقى دربَ التصوّرِ هذه. منَ المؤكَّدِ أنَّهُ لا يصعبُ علينا أنْ نتصوّرَ كم يمكنُ للأمّهاتِ أنْ يتعلّمنَ من عنايةِ مريمَ بابنِها! وكم منَ الآباءِ يمكنُهم أنْ يتعلّموا من مَثَلِ يوسفَ، الرجلُ البارُّ، الذي كرّسَ حياتَهُ لمؤازرةِ وحمايةِ الطفلِ والزوجةِ – عائلته – في المراحلِ الصعبةِ! وكم منَ الشّبابِ يمكنُ ليسوعَ المراهقِ أنْ يشجّعَهُم ليفهموا ضرورةَ وجمالَ تنميةِ دعوتِهم الأكثرَ عمقًا ويتوقوا للأمور العظمى. ويسوعُ قد نمّى خلالَ هذهِ السنواتِ الثلاثين الدعوةَ التي أرسلَهُ الآبُ من أجلها، اللهُ الآبُ. وفي تلكَ المرحلةِ لم يفقدْ يسوعُ الشّجاعةَ أبدًا، بل كانَ ينمو قُدُمًا برسالتِهِ بشجاعةٍ.

يمكنُ لكلِّ عائلةٍ مسيحيّةٍ أولاً – كما فعلَ يوسفُ ومريمُ – أنْ تستقبلَ يسوعَ وتصغيَ إليهِ وتكلّمَهُ، تحفظَهُ وتحميَهُ وتنموَ معهُ لتجعلَ العالمَ أفضلَ. لنُفسِح المجالَ في قلوبِنا ويوميّاتنا للربّ. هكذا فعلَ أيضًا يوسفُ ومريمُ ولم يكنِ الأمرُ سهلاً: كمْ منَ الصعوباتِ وجبَ عليهما تخطّيها! لم تكنْ عائلةً وهميّةً. إنَّ عائلةَ الناصرةِ تدعونا إلى إعادةِ اكتشافِ دعوةَ العائلةِ ورسالتَها، كلُّ عائلةٍ. وكما حدثَ خلالَ تلكَ السنواتِ الثلاثينَ في الناصرةِ يمكنُ أنْ يحدُثَ معنا نحنُ أيضًا: أنْ نجعلَ الحُبَّ أمرًا طبيعيًّا لا الحقدَ، أن نجعلَ المساعدةَ المتبادَلَةَ أمرًا مألوفًا، لا عدمَ المبالاةِ أو العداوةِ. فليسَ من قبيلِ الصدفةِ أنْ يكونَ معنى كلمةِ الناصرةِ "تلكَ التي تحفظُ"، على مثالِ مريمِ التي – يقولُ عنها الإنجيلُ – "كانت تَحفُظُ تِلكَ الأُمورَ كُلَّها في قَلبِها" (لو ٢، ١٩. ٥١). منذ ذلك الحين، كلَّ مرةٍ نجدُ عائلةً تحفظُ هذا السرَّ، حتى ولو كانتْ تقيمُ في ضواحي العالمِ، فإنَّ سرَّ ابنِ اللهِ، سرُّ يسوعَ الذي يأتي لخلاصِنا، يعملُ. وإنَّهُ آتٍ ليخلِّصَ العالمَ. وهذه هي رسالةُ العائلةِ الكبيرةِ: أنْ تُفسِحَ مجالاً ليسوعَ الآتي، وأنْ تقبلَ يسوعَ في كنفِها في شخصِ الأطفالِ والزوج والزوجةِ والأجدادِ إذْ أنّ يسوعَ فيهم. لنقبلَهُ إذًا لينموَ روحيًّا في عائلاتِنا. لنطلبْ منَ الربِّ هذهِ النعمةَ في هذهِ الأيّامِ الأخيرةِ قبلَ الإحتفالِ بعيدِ الميلادِ. شكرًا.

****

كلمات قداسة البابا للأشخاص الناطقين باللغة العربية:

أُرحّبُ بالحجّاج الناطقينَ باللغةِ العربيّةِ، وخاصةً بالقادمينَ من الشّرقِ الأوسط. أيُّها الأعزّاءُ، في الميلادِ يتواضعُ اللهُ وينزلُ إلى الأرضِ صغيرًا وفقيرًا ويدعونا للتّشبُهِ به. لتُساعدْنا العذراءُ مريمُ أمُّ يسوعَ وأمُّنا لنتعرّفَ في وجهِ قريبنا، وخصوصًا في الأشخاصِ الأشدَّ ضعفًا والمُهمَّشين، إلى صورةِ ابنِ اللهِ الذي صارَ إنسانًا. ميلادًا مجيدًا!

Santo Padre:

Rivolgo un cordiale benvenuto ai pellegrini di lingua araba, in particolare a quelli provenienti dal Medio Oriente! Carissimi, a Natale Dio si abbassa, discende sulla terra, piccolo e povero, e ci invita ad essere simili a Lui. La Vergine Maria Madre di Gesù e nostra, ci aiuti a riconoscere nel volto del nostro prossimo, specialmente delle persone più deboli ed emarginate, l'immagine del Figlio di Dio fatto uomo. Buon Natale!

****

Speaker:

أيُّها الإخوةُ والأخواتُ الأعزّاءُ، لقد قررتُ أنْ أتأمَّلَ معكم خلالَ هذا العامِ حولَ العائلةِ، هذه العطيّةُ الكبيرةُ التي أعطاها الربُّ منذُ البدءِ للعالمِ. لقدِ اختارَ اللهُ أنْ يُولَدَ في عائلةٍ بشريَّةٍ أسَّسَها بنفسِهِ، في قريةٍ نائيةٍ في ضواحي الإمبراطوريّةِ الرومانيّةِ، في ضاحيةٍ مخفيَّةٍ نوعاً ما لا بل سيّئةِ السُمعةِ. ومن هناكَ بدأتِ القصّةُ الأكثرُ قداسةً وصلاحًا، قصةُ يسوعَ بينَ البشرِ! لقدْ أقامَ يسوعُ في تلكَ الناحيةِ لمدةِ ثلاثينَ عامًا. ويُلَخِّصُ لوقا الإنجيليُّ هذه المرحلةِ على الشّكلِ التالي: كانَ يسوعُ "طائِعاً لَهُما [أي مريم ويوسف]. وكانَتْ أُمُّهُ تَحفَظُ تِلكَ الأُمورَ كُلَّها في قَلبِها. وكانَ يسوعُ يَتَسامى في الحِكمَةِ والقامَةِ والحُظْوَةِ عِندَ اللهِ والنَّاس"؛ وكلُّ شيءٍ في عائلةِ الناصرةِ كانَ يبدو "طبيعيًّا"، بحسبِ عاداتِ أيِّ عائلةٍ يهوديّةٍ عاملةٍ وتقيّةٍ. إنَّ الأناجيلَ بدقّتِها لا تُخبرُنا شيئًا عن مراهقةِ يسوعَ ولكن لا يصعُبُ علينا أنْ نتصوَّرَ كمْ يمكِنُ للأمّهاتِ والآباءِ والأبناءِ أنْ يتعلّموا منْ هذهِ العائلةِ. إذْ يمكنُ لكلِّ عائلةٍ مسيحيَّةٍ – كما فعلَ يوسفُ ومريمُ – أنْ تستقبلَ يسوعَ وتصغيَ إليه وتكلّمَهُ، أنْ تحفظَهُ وتحمِيَهُ وتنموَ معهُ لتجعلَ العالمَ أفضلَ. أيُّها الأعزّاءُ، لنُفسِحِ المجالَ إذًا في قلوبِنا ويوميَّاتِنا للربِّ كما فعلَ أيضًا يوسفُ ومريمُ فنجعلَ الحُبَّ أمرًا طبيعيًا لا الحقدَ، والمساعدةَ المتبادَلَةَ أمرًا مألوفًا، لا عدمَ المبالاةِ أو العداوةِ.

****

© جميع الحقوق محفوظة ٢٠١٤ – حاضرة الفاتيكان

Copyright © دائرة الاتصالات

الكرسيّ الرَّسوليّ

© Copyright L'Osservatore Romano

© Copyright L'Osservatore Romano